Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموسوعة التاريخية الحديثة

قضايا عصرنا

منذ ١٩٤٥

تعريب

الدكتور نور الدين حاطوم

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة الكويت

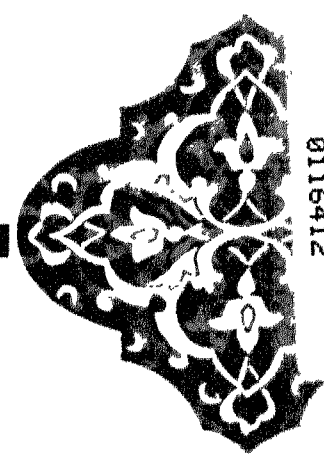

Bibliotheca Alexandrina
0116412

دار الفكر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قضايا عصرنا

منذ ١٩٤٥

تأليف

جماعة من المؤلفين الغربيين

تعريب

الدكتور نورالدين حاطوم

أستاذ التاريخ الأوربي الحديث في جامعة الكويت

دار الفكر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصوير ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
عن ط - ١٩٨١م

جميع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ،
أو جميع اقتباس منه ، والترجمة إلى لغة أخرى ،
إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

طبع بالأوفست في دار الفكر هاتف (٢١١١٦٦/٢١١٠٤١) ، برقياً (فكر)
ص ب (١٦٢) دمشق - سورية Tx FKRMGS 411745 Sy

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى الفدائي

الذي يبذل الروح

دفاعاً عن الدار والخلاص من الاستعمار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

يتمم هذا الكتاب « قضايا عصرنا » كتاب « تاريخ عصرنا » ويوضحه في شرح قضايا العصر الكبرى كقضية الخلاص من الاستعمار والعلاقات بين الشرق والغرب وتطور الحرب والتطور الاقتصادي والاجتماعي والديني والحياة اليومية ، وقضايا الدول الصغرى ، وقضية الحضارة المعاصرة وما أنجزته من تقدم علمي وتقني ؛ وغيرها من القضايا التي تميز عصرنا الحاضر وتفسره .

والأمل أن يتحقق به النفع المرجو والفائدة المتوخاة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

نهاية الاستعمار

الاستعمار

كانت المستعمرات تمتد ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، على خارطة الكرة الأرضية ، على أكثر من نصف القارات . ففي اوربة ، كانت صخرتين بريطانيتين : جبل طارق ومالطة ؛ وفي شرقي المتوسط ، احتلت انكلترا قبرص ، وايطاليا رودس . وتحررت امريكا ، الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية ، منذ أكثر من قرن ؛ ولكن بقيت كندا الواسعة ، الدومنيون البريطاني ، هوندوراس البريطانية ، جزر الآنتيل الصغرى والغويانة ، موزعة بين انكلترا وفرنسا وهولاندة ؛ وأخيراً بورنوريكو وآلاسكا وتتعلقان بالولايات المتحدة .

واستعمرت آسيا بشكل واسع كثيراً جداً : احتل فيها الروس الشمال كله والغرب ، سيبريا ، تركستان ، القوقاز ؛ وكان ملك انكلترا امبراطور الهند ويسيطر على سيلان ، بورما ، ماليزيا (مالايو) ، سنغافوره ، هونغ كونغ . وجعلت هولاندا من الهند الهولاندية ، اندونيسيا في المستقبل ، مستعمرة زراعية غنية ؛ وجعت فرنسا فيت ـ نام ، كامبوديا ولاؤس في الهند الصينية ؛ واستعمرت اليابان فورموزا ، كوريا ، ماندشوريا وبدأت بفتح الصين ؛ وكانت الصين فعلياً كثيراً أو قليلاً

سيدة تركستان الشرقية والتيبت ؛ وكانت مونغوليا مقسمة بين النفوذين الصيني والروسي . وقسمت البلاد العربية من جديد بين انكلترا ، التي استولت على جنوبي شبه الجزيرة العربية ، العراق و فلسطين ، وفرنسا التي احتلت سورية ولبنان ، بصفة انتداب في الغالب .

واستعمرت افريقية ، عدا ليبريا الصغرى ، البائسة جداً آنذاك ، بكاملها بصفات مختلفة : وكانت مصر التي انضمت اليها السودان بايحاء من السلطات البريطانية ، مستقلة نظرياً منذ ١٩٢٢ ، ولكن الجيش البريطاني يحتلها . وحققت انكلترا على هذا النحو حلم **سيسيل رودس** ، صابغة باللون الوردي البريطاني شرقي القارة كله ، « من الكاب الى القاهرة » بدومنيون جنوبي افريقية ، الروديسيتين ، تانغانيقا ، كينيا ، اوغندا والسودان الانكليزي المصري . وتملك ، عدا ذلك ، اربع مستعمرات في افريقية الغربية : غامبيا ، سيراليون ، ساحل الذهب ونيجيريا الواسعة ؛ وحول القارة ، على طول طريقي الهند ، احتلت بعض الجزر والمواقع البحرية : جزيرة الصعود ، القديسة ـ هيلانة ، زنجبار ، عدن ، موريس وجزر سيشيل .

وبعد أن ضمت فرنسا **الجزائر** التت وحدة المغرب بحمايتي **تونس ومواكش** . واحتلت اراضي واسعة ونظمتها وهي : افريقية الغربية الفرنسية (A.-O.F.) وافريقية الاستوائية الفرنسية (A.-E.F.) ، التي تمتد من الغابة العذراء الى القسم الاعظم من الصحراء الكبرى .

وانتدبت فرنسا ، فوق ذلك ، على المستعمرات الالمانية السابقة في توغو وكمرون ؛ وسيطرت ، في المحيط الهندي ، على مدغسكر ، وشاطىء الصومال الفرنسي وجزر الكومور .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضم الملك ليوبولد الثاني ، بصفة شخصية ، الكونغو وورثتها بلجيكا بعده . وحافظت البرتغال على فتوحاتها القديمة : جزر الرأس الأخضر ، غينة البرتغالية ، أراضي موزامبيك الواسعة وانغولا .. ولا توجد اسبانيا إلا في شمالي مراكش وفي بضع نقاط من الشاطىء الصحراوي ، وتحت خط الاستواء ، في غينة الصغيرة الاسبانية . وكانت ايطاليا آخر قادمة ، واحتلت ليبيا والصومال ، واريترة ، ثم ضمت في العام ١٩٣٦ امبراطورية اثيوبيا (الحبشة) القديمة ؛ وكان هذا الحادث آخر فتح استعماري .

واستعمرت **اوقيانوسيا** بكاملها . وجزئت غينة ـ الجديدة ، أكبر جزيرة في العالم ، بين هولاندة وانكلترا واوستراليا . وحمت الولايات المتحدة جزر الفيليبين . وكانت انكلترا الوطن الأم (المتروبول) لدومنيوني اوستراليا وزيلاندة ـ الجديدة . وتنقاسم معها ومع فرنسا ارخبيلات ميلانيزيا وبولينيزيا الصغيرة ، وما من مكان ، حتى على اطراف القارة المتجمدة الجنوبية ، الا وأرادت الدول احتلاله والاستقرار فيه . وهكذا تم التقسيم الاستعماري للأرض .

فما هي المستعمرة إذن ؟ إنها بلد يتعلق سياسياً بالمتروبول . وكلمة « متروبول » ، أي « المدينة الأم » ، تدل على أصول النظام (المؤسسة): فقد نشرت المدن اليونانية في القديم « المعمرين » أي الفلاحين في البلاد « البربرية » ، أي في خارج بلاد اليونان ، مثل آسيا الصغرى أو جنوبي ايطاليا . ولم يكن هذا النوع من « مستعمرة الاستيطان » غائباً عن الاستعمار الحديث ؛ وهذه هي حال الجزائر عندما كانت مستعمرة فرنسية ؛ وظلت الدومنيونات البريطانية نماذج لذلك أيضاً ؛ وكان بعضها في اكثره

مأهولاً بالمعمرين ؛ ولم يكن البيض في افريقية الجنوبية إلا أقلية قوية تستخدم عمل اكثرية ابناء البلاد الاصليين .

وفي أمكنة أخرى ، وبخاصة في المناطق المدارية ، لم يكن المستعمرون إلا عدداً ضعيفاً من العسكريين والاداريين ، وأعضاء البعثات التبشيرية ، والفلاحين والنجار يسيطرون ويوجهون الجماهير الكبرى من أبناء البلاد الأصليين . ومثل هذه المستعمرة يسمى « مستعمرة الاستغلال » ، وهو تعبير موروث من جزر قصب السكر في النظام القديم ويفترض هدفاً خاصاً الربح الاقتصادي بنتائجه غير الانسانية . وقد شجب الاشتراكيون هذا المظهر آنذاك على حق تحت اسم « الاستعمار » أو « الاستعمارية » كنظام . ولكن الواقع ليس بسيطاً . لأن المستعمرات لم تفد إلا بعض الافراد أو بعض الجماعات . ولم تكن البتة عنصراً أساسياً في ازدهار البلاد الأم . لأن هذه الأخيرة انطلقت في الغالب في فتوحات بعيدة بداعي العظمة السياسية وبحسد جيرانها . وكانت فكرة « الرسالة المحضرة حيال المتوحشين المميع » احياناً عذراً ، ولكنها كانت ايضاً بالنسبة للكثيرين من مكتشفين ومبشرين وموظفين واقعاً قوياً ، وكما غنى الشاعر الانكليزي كيبلنغ ، كانت عبء الانسان الابيض الذي أخذ على عاتقه تقدم الكوكب .

وليس هذا القول كلاماً عبثاً . إن تقدم البيض التقني ، الذي اتبعه اليابانيون بشدة وحمية ، جعلهم في القرن العشرين معلمين ومرشدين للمستعمرين بعد أن وجدوهم في الغالب في مستوى العصر الوسيط او ما قبل التاريخ . ولكن الواقع ، بكونهم معلمين ، لا يحملهم على الاسراع بتحرير قاصريهم حتى ولا تصور هذا التحرير بوضوح . ومع ذلك فإن التماس الخارجي والتنظيم الاستعماري أثارا تغييراً بطيئاً في المجتمعات القديمة .

إن النهضة والحدود الجديدة ووسائل المواصلات من موانيء وخطوط حديدية وطرق وطائرات ونمو المدن فجرت الأطر السياسية القديمة الضيقة وخلقت كيانات واسعة ومزجت الشعوب . فالى جانب اقتصاد العيش التقليدي المعتمد على الزراعات الغذائية انشيء اقتصاد تبادل مؤسس على المنتجات الجديدة كالسكر والكاكاؤ والقهوة والشاي والفول السوداني والقطن والكاوتشوك والكرمة ، الخ . أو على استغلال الموارد الطبيعية كالغابات والمناجم وغيرها . وهذا التصدير يتجه بخاصة نحو الوطن الأم الذي يرسل ، بالمقابل ، منتجاته المصنوعة ، معوضاً بسعر رخيص المصنوعات المحلية . ولا شك في أن هذا التغيير يحدث تحت تأثير التبعية المزدوجة السياسية والاقتصادية . إلا أنه يشكل على الاقل انقلاباً مادياً واجتماعياً ،ويضاف اليه انقلاب الافكار عند العناصر المثقفة على الطريقة الغربية ، « المتطورة » . وما زال هؤلاء قليلي العدد وبخاصة في افريقية وسيكونون خميرة العجينة وعمال المستقبل .

بوادر الخلاص من الاستعمار

وستسهم عقائديات مختلفة في هذه اليقظة . لقد علم المعلمون الفرنسيون الشعار « الحرية ، المساواة ، الاخاء » . ولقن المبشرون المسيحيون الاخاء البشري . والإسلام يدعو الى الاخاء الاسلامي . كما ان القومية ، التي حررت شعوب أوربه منذ قرن ، القت ببقعة الزيت في آسيا وفي البلاد العربية وذكرت بالامبراطوريات الكبرى والحضارات الوضاءة في القديم . وضربت اليابان المثل في التجديد الخارق والانتصارات على أوربه . وانتقلت هي نفسها إلى التسلط والامبريالية . وان عالم السيطرة البيضاء ، الذي غناه كيبلينغ ، بدأ يميل ، وبشر لوثروب ستودارد بـ « المد الصاعد للعروق الملونة » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن أول تحويل عميق في امبراطورية استعمارية كان من عمل مستعمَر مالبث أن أصبح زعيم البلد المستعمِر ، الجيورجي جوزيف ستالين . فقد شجب الاشتراكيون « الاستعمارية » ، وبشر لينين بتحرير الشعوب المستعمرة ورأى فيه واسطة انهيار الرأسمالية . ومنذ استلامه السلطة نادى بـ « مساواة شعوب روسيا وسيادتها »

ومن هنا ظهر تفتح القوميات التي كادت أن تنسف هذا التجميع العظيم للبلاد ، هذا العمل الذي قام به القياصرة الروس خلال قرون . وشجب ستالين القومية كرجعية إذا كانت منبثقة عن الاقطاعيـــات والبورجوازيات المحلية ؛ وخول الشعوب من عروق أخرى بعض الاستقلال الذاتي السياسي والثقافي ، وأمن في الوقت نفسه تماسكها بالحزب الشيوعي وتنميتها بالخطط الخمسية . ومن ١٩١٣ إلى ١٩٣٤ ، عرف مذهبه وطبقه . وغلبت عقدة النقص على أمرها ، واستطاع المجموع الكبير الذي اطلق عليه اسم « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » أن ينطلق من جديد لحياة جديدة ، حياة القرن العشرين .

والولايات المتحدة ، المنبثقة عن ثورة استعمارية ، احتفظت بعقائدية قلما تصلح للامبراطوريات . فقد خول روزفلت ، منذ ١٩٣٤ ، الاستقلال الذاتي للفيليبين . والليبرالية الانكليزية التي أوحى بها التحرير الامريكي والعادة الداخلية للبرلمانية والاستقلالات الذاتية المحلية ، قبلت ، منذ زمن طويل ، « الحكم الذاتي » في المستعمرات الكبرى البيضاء التي أطلق عليها اسم « الدومنيونات » ، مثـل كندا في ١٨٤٠ ، استراليا ١٩٠٠ ، زيلاندة ـ الجديدة ١٩٠٧ واتحاد جنوبي أفريقية ١٩١٠ . وكان نظام الاستقلال الذاتي الداخلي هذا يسمح لها بتسيير مصالحهـــا بواسطة حكومة وبرلمان وإدارة خاصة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وظلت قضايا الدفاع والدبلوماسية المتعلقة بها في النطاق الخاص بحكومة لندن . وبين الحربين العالميتين أصبح المجموع « رابطة الشعوب البريطانية » ووضعت الهند على يد نخبتها المتحركة ، التي تثقفت في الجامعات الانكليزية قضية صعبة ؛ وكانت مجالس الأقاليم تنتخب الوزراء منذ ١٩١٩ ؛ وكان يتنبأ للآجل البعيد باتحاد مع سلطة مركزية . وأخذت مصر في ١٩٢٢ استقلالها من حيث المبدأ . وفي ١٩٣٢ تخلت انكلترا عن انتدابها على العراق ثم عن شرقي الأردن . وكانت البلاد المنخفضة عرضة لحركة قومية قوية في اندونيسيا ، فردت بعنف ولكنها اضطرت إلى البدء بإعداد برلمان محلي .

وفي فرنسا ، كان عدم الحركة غالباً . فقد أنشئت بعض المجالس الكاملة المحلية في الجزائر ، والهند الصينية ومدغشكر ، ولكنها كانت مجالس استشارية واقتصادية ويسيطر عليها الأوربيون .

وأعدت « الجبهة الشعبية » تحرير سورية ولبنان وتونس والتمثيل السياسي للنخبة الجزائرية ؛ ولكن سقوط ليون بلوم ، في ١٩٣٧ ، كان سبباً في في إخفاق هذا التحويل العاجل . ولم يكف تفتح القومية الفيتنامية ، التي تأكدت بثورة ين باي ، في ١٩٣٠ ، لفتح عيون المحافظين على مجيء الأزمنة الجديدة .

وسجلت الحرب العالمية الثانية قيام عالم كوكبي وخراب أوربه الغربية المستشرية على دمارها الخاص . وظهرت بين الغالبين دولتان في الصف الأول: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

وكانت الدولتان مناوءتين للاستعمار وتشجعان حركات التحرير . ولم تظهر هذه الحركات أثناء الحرب . وكونت العرقية المتآلبة الاتحاد ضدها

وما زالت الأطر الاستعمارية متينة بعد . وسببت الهند وحدها القلق للانكليز : فقد بشر غاندي بـ « اللاعنف » ، الذي توحي به التقاليد الهندية ، وعارض الدفاع ضد اليابانيين . وسجنه الانكليز مع تلميذه نهرو ، في آب ١٩٤٢ ، وحصلوا على تعاون الزعماء القوميين الآخرين . وخدم مليونا هندي في الجيش أو في المعامل ، ودحر اليابانيون . ولكن هذا النفير استخدم أيضاً في أماكن أخرى ، في آسيا أو في أفريقية ، وأعطى لمحاربي البلاد المستعمَرة العاطفة بقوتها وتقنية الحرب . فمن ذلك أن الأفارقة الذين انخرطوا في جيش الجنرال لوكليرك من ليبيا الى قلب ألمانيا حافظوا على عقلية فاتحين وقليلي الاستعداد للخضوع . ولذا فإن فكرة « الحرية » التي استنفرت بشكل واسع في النضال ضد النازية لم يعد بالامكان ردعها ووضعها في محلها .

وتحملت الدول الاستعمارية الكبرى خسائر مادية ومعنوية فقد احتلت البلاد المنخفضة من قبل الألمان ، وطردها اليابان من إيرانا الغربية ، وظلت خلال أربعة أعوام زائلة من الخارطة . وشهدت الامبراطورية البريطانية إغراق سفنها الحربية ، واستسلام حصن سنغافوره ، واجتياح ماليزيا وبورما ، والهند وجنوبي افريقية مسوقين بصعوبة إلى الحرب ، ومصر جامحة ثم مهددة ، والعراق ثائرة . وخرجت انكلترا من كفاحها الطويل منهكة وغير قادرة على توطيد سيطرة عالمية . وغلبت فرنسا عسكرياً ، واحتلها العدو ، وانقسمت افريقية الفرنسية خلال عامين بين « الفيشيين » و « الغوليين » ، واجتاح اليابانيون الهند الصينية ، كما اجتاحت الجيوش الحليفة افريقية الشمالية ومدغسكر ، وضرب اسطولها أو أغرق ، وتحررت أرضها القومية بحرب احتل فيها الامريكيون المكان الأول ، وخرجت من المحنة مهدمة وفي حالة سياسية قلقة وغير مستقرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن جهة الخصم ، كان الانهيار عظيماً أيضاً . وبدا أن العرقية بادت نهائياً مع النازية . وخسرت إيطاليا امبراطوريتها الجديدة . وطرحت اليابان من فتوحاتها بعد كفاح مرير ، ووجدت نفسها بقنبلة هيروشيما طريدة من مستعمراتها السابقة ومن الصين النصف محتلة . ولكن اليابانيين في جنوب شرقي آسيا الخاضع لهم منذ عدة سنوات ، بشروا بسقوط البيض و « آسيا للآسيويين » . وأنبتت هذه البذور نباتها . و « كسبت اليابان المغلوبة الحرب » .

وظهرت بين قصف القنابل والخرائب بعض أمارات العالم الجديد . ففي آب ١٩٤١ التقى تشرشل وروزفلت في البحر وعرفا «ميثاق الاطلسي» حيث يظهر بخاصة صدى بعيد للثورة الفرنسية ، « حق كل شعب في اختيار شكل الحكم الذي يجب أن يعيش فيه » . وفي الجزائر المدينة ، في ١٩٤٤ ، كانت الحكومة الفرنسية المؤقتة محرومة من قاعدة البلد الام ، فاعتمدت على المستعمرات ورسمت اتجاهات جديدة ؛ وخولت المواطنة الفرنسية إلى ٦٠٠٠٠ جزائري مع احتفاظهم بنظامهم المدني الاسلامي .

وفي برازافيل انعقد مؤتمر حكام افريقية السوداء ونادى بتمثيل واسع للمستعمرات في البرلمان الفرنسي والمجالس المحلية ، مع شجب فكرة الاستقلال الذاتي « حتى البعيدة » .

وشهدت العودة إلى السلام في سان فرنسيسكو ، في حزيران ١٩٤٥ ، إعداد ميثاق الامم المتحدة . أما الفكرة التي قال بها بعض الامريكيين في تحويل جميع المستعمرات الى وصايات مؤقتة فقد أبعدت بمعارضة الدول الاستعمارية . وأكتفي بأن أطلق إسم « وصايات » على « انتدابات » عصبة الامم السابقة وبعض المستعمرات الايطالية واليابانية السابقة .

وكسبت دول انتدابات الشرق السابقة استقلالها بفضل التنافس الفرنسي - الانكليزي . وأخذ **مجلس الوصاية** ، في منظمة الامم المتحدة ، الذي يضم بالتساوي دولاً وصية ودولاً غير وصية ، منها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، يستقبل تقارير الأوصياء وملتمسات الشعوب الموصى عليها ويقوم بزيارات دورية لبلاد هذه الشعوب . ووجدت الدول الموجهة نفسها موضوعة تحت وصاية دقيقة . وعدا ذلك ، يجب أن توجه تقارير عن كافة البلاد « غير المستقلة ذاتياً » أي المستعمرات والمحميات غير الخاضعة للوصاية ، الى منظمة الامم المتحدة التي تضم جمعيتها العمومية أكثرية من أعضاء غير مستعمرين يسهل عداؤهم أو يصعب كسبهم . وما فتئت منظمة الامم المتحدة تدفع إلى التحرير وتسهله عندما تتوافر الظروف وتستقبل الامم المستقلة الجديدة مهما كانت رقيقة الحال أو سيئة التكوين . لقد بدأ جزر الاستعمار وأخذ قليلاً قليلاً يجرف كل شيء .

المرحلة الاولى

١٩٤٥ — ١٩٥٤

تحرير آسيا

سارت **الهند** بسرعة على طريق التحرير . كسب الحزب القومي ، حزب « المؤتمر » في جميع الانتخابات ، وأمكن للانكليز أن يقرأوا على جميع الجدران « غادروا الهند » . وأعطت الانتخابات البريطانية ، في تموز

١٩٤٥ ، السلطة إلى العماليين الذين قرروا منح الاستقلال ، ولكن موعده أبعد بسبب اختلافات الهند نفسها .

وصعدت وحدة الدين وشعبية غاندي ونهرو اختلاف الاعراق واللغات لصالح الاكثرية البرهمانية الواسعة : ولكن العصبة الاسلامية ، بزعيمها المحامي محمد علي جناح ، كانت تطالب بدولة مستقلة ، وقد أطلق عليها اسم « باكستان » .

وعندما أخفقت جميع محاولات المصالحة ، أعلم الوزير البريطاني الاول أتلي ، في شباط ١٩٤٧ ، بأن الانكليز سيغادرون الهند في السنة التالية عند أبعد حد . وهذا التهديد بترك البلاد للفوضى ساعد نائب الملك ، اللورد مونتباتن ، على تسوية « التقسيم » بين هندستان وباكستان . وفي ١٥ آب ١٩٤٧ ، أعلن الاستقلال ، وبقي البلدان في الكومنولث .

وكانت الطوالع العالمية تتنبأ منذ نصف قرن بأن الهند ستنفجر عند ذهاب الانكليز . وكانت البدايات ، والحق يقال ، مأساوية . فقد انطلقت ملايين اللاجئين وعبرت الحدود من دولة لاخرى . ولم تخل الحال من مجاعات ومذابح واسعة . وقد حرم اغتيال غاندي ، في كانون الثاني ١٩٤٨ وموت محمد علي جناح في أيلول البلدين قبل الاوان من مرشديها غير المنازعين . ومع ذلك فقد تجاوز كل من البلدين أخطار عمره الاول وقويا وحدتهما بسرعة . فالعصبة الاسلامية ، الحزب الوحيد في الباكستان الذي يعتمد على إيمان حي ويحافظ على عديد من الموظفين البريطانيين ، تغلبت على عوزها للملاكات (الكوادر) واختلافها اللغوي

وتجزئتها الارضية الغريبة . وكانت دولة الهند، بـ٣٥٠ مليون نسمة واختلافاتهم وأباطيلهم ، وشقائهم ، تتصرف بنخبة متأنكلزة : وكان زعيما المؤتمر نهرو وباتيل « جماعين » .

ان الـ ٥٥٠ دولة اميرية ، التي احترم الانكليز تكاثرها الذي يرجع إلى عهد العصور الوسطى ، التحقت شيئاً فشيئاً بالحكومة المركزية . إلا أن أميراً واحداً وهو نظام حيدر أباد ، الذي يحكم ١٧ مليوناً ، حاول أن يقاوم ولكنه أذعن بعد غزوه . وكشمير المسلحة ، التي تطالب بها باكستان واحتفظت بها الهند ، أصبحت شوكة مستديمة في العلاقات بين البلدين . وفي ١٩٥٤ التحقت مؤسسات الهند الفرنسية ، وهي رسم من بقايا القرن الثامن عشر ، بـ « الهند الام » برضى فرنسا . وأمن الدستور الهندي ، وان كان اتحادياً ، تفوق الحكومة المركزية التي يسيطر فيها حزب المؤتمر بشكل واسع . وهو يشجب التمييز في الدين والطبقة والجنس . وجنبت القطيعة اللغوية بخاصة بفضل اللغة الانكليزية التي ظلت لغة مشتركة للنخبة المثقفة . وفي ١٩٥٠ أصبحت الهند جمهورية دون أن تترك الكومنولث وتزعم نهرو ، في السياسة الخارجية ،الحزب المحايد .

وسيلان وبرمانيا المجاورتان للهند ، وهما في أكثريتهما بوذيتان ، انفصلتا في الوقت نفسه عن الامبراطورية البريطانية ، عام ١٩٤٧ ، وظلت الاولى وحدها في الكومنولث . وعرفت برمانيا أفجع المحن السياسية . وفي تموز ١٩٤٧ ، قذف مجلس الوزراء بالرشاش . إلا أن وزيراً واحداً ، أونو كان غائباً . واستلم السلطة وحاول ، باتباع طريق مزدوج ماركسي وبوذي ، أن يؤمن بقاء بلاده التي هدمتها الحرب ومزقتها الاشياع المسلحة العقائدية أو العرقية .

أماماليزيا وسنغافوره بوضعهاالستراتيجي الاستثنائي ، وأهميتها الاقتصادية، نظراً لوجود القصدير والكاوتشوك ، وشعوبها المختلفة جداً من ملاويين أصليين ومهاجرين صينيين ، فلم يتركها الانكليز بسهولة . فقد أنشأوا « اتحاداً » يضم الإمارات الملاوية مع مفوض سام بريطاني . وظلت سنغافورة جانباً « مستعمرة التاج » مع مجلس منتخب .

واندونيسيا (الهند الهولاندية) التي احتلها اليابانيون ، ثم الانكليز ، شهدت عودة الجيوش الهولاندية . ولكن ، في ١٧ آب ١٩٤٥ ، عند مغادرة اليابانيين ، قام المهندس سوكارنو ، زعيم الحزب الوطني ، منذ ١٩٢٧ ، وأعلن « الجمهورية الأندونيسية » واعترف الهولانديون بالجمهورية ، وحاولوا أن أن تقتصر على جاوا ، وانشأوا في غيرها دولاً مستقلة ذاتياً . وفي كانون الأول ١٩٤٨ استولوا على عاصمة الجمهورية ، جوكجاكارتا . وعندئذ قام نهرو واحتج أمام منظمة الأمم المتحدة التي دعت الطرفين إلى المفاوضة . وفي تشرين الثاني ١٩٤٩ أقرت معاهدة « الاتحاد الهولاندي ـ الأندونيسي » الذي وضعت فيه « الولايات المتحدة الأندونيسية » على قدم مساواة واحدة مع البلاد المنخفضة في نظـــام مؤتمرات شبيه بالكومنولث . وبدت هذه الرابطة السياسية ايضاً غير محتملة في نظر القوميين . وبعد أن تغلب سوكارنو على ثورات هامشية وحقق بصعوبة الائتلافات الداخلية بين الاحزاب المسلحة، دفع ، في ١٩٥٠ ، إلى تبني دستور وحدوي . وفي ١٩٥٤، فسخ الاتحاد مع البلاد المنخفضة وطالب باريانة الغربية (غينة ـ الغربية الجديدة) التي احتفظ بها الاتحاد .

واحتل اليابانيون الهند الصينية الفرنسية وتركوا السلطات الفرنسية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في مكانها ، ثم انتزعوها منها ، في ٩ آذار ١٩٤٥ ، واعتقلوها . وعند مغادرتهم ، بعد هيروشيما ، تركوا المكان في فيت ـ نام لقوميي حزب فيت ـ منه المتعاطف مع الشيوعيين والذى يوجهه مفكرون ثقفوا الثقافة الفرنسية وبخاصة المحارب القديم هوشي منه والشاب جياب . ثم اتبع احتلال الجيوش الحليفة ، الانكليز في الشمال ، والصينيون في الجنوب ، باحتلال فرنسي جديد ، في كوشنشين أولاً ، ثم في تونكن . وفي ٦ آذار ١٩٤٦ ، وقعت معاهدة تعترف بـ « جمهورية فيت ـ نام دولة حرة ... تؤلف جزءاً من الاتحاد الفدرالي الهندي ـ الصيني والاتحاد الفرنسي » ؛ ومن ثم دخلت جيوش لوكليرك هانوي .

وعندئذ قامت مباحثات في فونتينبلو لتعريف الحالة السياسية الجديدة وطالب هوشي منه بالاستقلال وبكامل البلاد وبحلف سوامي ، بينما أراد الفرنسيون الحفاظ على الجيش والدبلوماسية والكوشنشين . وأخفق المؤتمر .

ومن ٢٣ تشرين الثاني إلى ١٩ كانون الأول ١٩٤٦ قامت الحرب في هايفونغ ، ثم في هانوي بين الجيوش الفيتنامية والفرنسية ، وحافظ الفرنسيون على هانوي واضطرت حكومة الفيت إلى الفرار .

ومنذ ذلك الحين قامت الحرب ودامت سبعة أعوام ونصف . احتل الفرنسيون الدلتا التونكينية والكوشنشين وقسماً من الأنام ؛ وأمسك الفيت ـ منه بغابات العواصج وقام بحرب عصابات لاتنقطع وما لبثت الحرب أن أصبحت حرباً منظمة انطلاقاً من ١٩٥٠ عندما انتصر الشيوعيون الصينيون في بلدهم وقدموا الأسلحة . وبحثت الحكومة الفرنسية عن حل سلمي ، وفي ٨ آذار ١٩٤٩ ، وقعت مع الامبراطور القديم باؤ داي اتفاقات تعترف باستقلال الفيت ـ نام ، المتحدة تحت تاجه والمرتبطة بالاتحاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرنسي . وفي الواقع ، ظلت فرنسا تجهز الأسامي من المجهود العسكري (حتى ٢٣٠٠٠٠ محارب) والمالي (أكثر من ٥٠٠ مليار فرنك سنوياً) دون نتيجة حاسمة . وقام جياب بهجوم ، ولم يدفع إلا بمناورات الجنرال دولاتر دوتاسيني اللامعة . وعندئذ وجه جياب جهوده شطر بلاد تاي ، وهذا مادفع الجنرال نافار إلى إنشاء معسكر ديان بيان فو ، الذي اضطر إلى الاستسلام ، في ٧ أيار ١٩٥٤ . وانعقد مؤتمر في جونيف لعب فيه ماندبس فرانس دوراً أساسياً . وقسم اتفاق ٢١ تموز ١٩٥٤ الفيت ـ نام إلى قسمين : الشمال الشيوعي ، والجنوب حيث خلف الرئيس نغو دينه ديم الامبراطور باؤداي .

وأصبحت لاؤس وكمبوديا دولتين مشاركتين في الاتحاد الفرنسي في ١٩٤٦ وتطورتا نحو مزيد من الاستقلال . وتنازل ملك كمبوديا ، نورودوم سيهانوك ، عن العرش ليحافظ على السلطة الفعلية بصفة رئيس لمجلس الوزراء . واجتاحت جيوش الفيت ـ منه لاؤس مرتين ، واحتفظ الشيوعيون باقليمي الشمال الشرقي .

وتخلصت الصين من الاحتلال الياباني في آب ١٩٤٥ ، ومثلت بين الحلفاء المنتصرين ، والغت « المعاهدات غير المتكافئة » التي فرضها الغرب في بداية القرن . وعادت فيها الحرب الأهلية في ١٩٤٦ ؛ وفي كانون الأول ١٩٤٩ انتصر الشيوعيون ، رجال ماوتسه ـ تونغ ، وفر تشانغ ـ كاي ـ تشيك إلى جزيرة فورموزا (تاي وان) التي تحميها البحرية الامريكية . وزعم أنه يمثل الصين الحقيقية وحافظ على مكانه في منظمة الأمم المتحدة . وزالت جميع المناطق والامتيازات الأجنبية من البلاد

عدا هونغ كونغ وماكاؤ . ولحل القضية الاستعمارية التي وضعتها الشعوب الخارجية الدخيلة ، تبنت « الصين الشعبية » مبادىء ستالين مع تكييفها . وإن دستور ١٩٥٤ يخول الاستقلال الذاتي للأقليات القومية . ولكن الجمعية (المجلس) كانت وحيدة . وانشال الشعب الصيني على سين — كيانغ (تركستان الشرقية) حيث تم ائتلاف من مختلف الشعوب تحت حماية بكين . وأصبح الزعماء المغوليون منتخبين منذ الآن . واحتلت الجيوش الصينية التيبت في ١٩٥٠ . وأنشئت لجان مستقلة للأقليات الأخرى في نطاق الأقاليم الصينية . وإن اتجاه الصين الجديدة المناوىء لأمريكا بعنف ، وكلمات أمرها « المناوئة للاستعمار » و « المناوئة للامبريالية » ، وعملها في حرب كوريا (١٩٥٠ — ١٩٥٣) وجهودها لالتفاف « العالم الثالث » حولها ، قد أسهمت في تطور الشعوب الآسيوية وحتى الافريقية في المرحلة التالية .

الكومنولث (رابطة الشعوب البريطانية)

السياسة البريطانية مطبوعة بالجزيرية والذرائعية . فهي تهتم بالحفاظ على فرديتها وفردية الآخرين . وتحترم ما هو موجود ، وتحافظ عليه ما دامت التغييرات لا تفرض نفسها بشكل واضح . وتهتم أيضاً اهتمام التاجر الصالح بألا تلقي نفسها في نفقات غير منتجة ، ومن هنا يأتي اختلافها ومرونتها . وهي تثق ، مع ذلك ، بفضيلة النظم البرلمانيه التي أعدتها ، وبـ « الحكم الذاتي » المسؤول والتربية المعطاة في جامعاتها . ولقد طبع هذا المجموع من الطريقة التجريبية والمبادىء الطيبة خلاصها من الاستعمار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد فهم الكومنولث في ١٩٣١ كصيغة مساواة وتعاون بين البلد الام والدومنيونات البيضاء : كندا ، اوستراليا ، زيلاندة ـ الجديدة ، جنوبي افريقية ، ولكل واحد منها ، تحت سيادة الملك ، برلمانه ،حكومته، وحريته في القرار . وهو نادي سادة متماثلين أو على الاقل متقاربين بالعرق واللغة والثقافة ويفترض أن لهم مجموعة عواطف مشتركة . ولكن الكومنولث لا يعوض الامبراطورية البريطانية ، لأن هـــذه الامبراطورية ما زالت موجودة لجميع مستعمرات الملونين .

وعندما حرر العماليون الهند تصوروا توسيع النادي وذلك بأن قبلوا فيه غير اوربيين ، كواسطة للابقاء على الروابط السياسية على قدم مساواة واحدة . والحرية متاحة لدخول النادي : وقد دخلته الهند وباكستان وسيلان ثم ماليزيا ؛ ورفضت دخوله بورما . وجعل الحد الادنى من الثقافة الجامعية المشتركة بين النخبات الموجهة ، والعادات التي انشأتها التعاملات الادارية المتشابهة والعلاقات الاقتصادية الوثيقة هذا الحل الرياضي دائماً وناجعاً . ولم يكن ملك انكلترا ، الذي ظل سيداً في بعض الدومنيونات، من الوجهة الرسمية أكثر من « رمز » ، وشعاراً للنادي ، في الدول التي أصبحت جمهوريات . وعندما عاد المحافظون للسلطة ، تابعوا ، مع الكبح بخفة ، هذه السياسة الحكيمة التي تجنب الحملات العسكرية المكلفة وغير المفيدة ، وتبقي على العلاقات المربحة . ومن الممكن على هذا النحو تصفية الامبراطورية قليلاً قليلاً ، اما بحذف ، واما ، في الغالب ،بالحفاظ على روابط الكومنولث المرنة الشبيهة بخيط العنكبوت والقاصرة على مؤتمر سنوي ومشاورات شبه رسمية عند مقتضى الحاجة .

ولم يكن تطبيق هذا الحل في العالم العربي الذي تخامره عظمة وحدته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الماضية ، ويفصله حماسه الديني للاسلام عن أي تشكيل آخر . وسبق أن استخدم لورانس العروبة ضد الأتراك ، ودعمت انكلترا الجامعة العربية عندما تألفت في ١٩٤٥ . ولكن فلسطين ، التي تشكلت فيها نواة استيطان صهيوني تحت الانتداب الانكليزي ، وضعت قضية شائكة. وفي ١٩٤٨ غادرها الانكليز وتقاسم الاسرائيليون والملك عبد الله البلاد تاركين حالة حرب عتيدة بين الصهاينة والعالم العربي .

مصر. — وكانت مصر مستقلة مبدئياً وقصر الانكليز احتلالهم على منطقة القناة. وفي ١٩٥٢ خلع الملك فاروق جماعة من الضباط يمثلون الطبقة المتوسطة بزعامة جمال عبد الناصر الذي استلم السلطة في ١٩٥٤ ، وحصل من انكلترا ، في تشرين الأول ، على الجلاء عن القناة .

وأخذ الانكليز ثأرهم في السودان التي وضعت تحت سيادة مشتركة انكليزية ـ مصرية منذ ١٨٩٩ ، وطالب بها الوطنيون المصريون . وفي ١٩٥٠ نادت الجمعية المصرية بفاروق « ملك مصر والسودان » . ودافعت انكلترا أمام منظمة الأمم المتحدة عن حق « الشعوب في تقرير مصيرها » ، وشجعت انصار استقلال السودان . ولم تستطع الجمهورية المصرية الجديدة أن تعارض تطبيق المبدأ الديموقراطي . إلا أن انصارها حصلوا على أكثرية عريضة ، ولكن ما أن استلموا السلطة إلا واتجهوا نحو الاستقلال .

الجنوب العربي . — وفي الجنوب العربي وجدت محميات حضرموت وعمان والخليج العربي ، سلطنات من شاكلة سلطنات العصور الوسطى، تسير قبائل الصحراء ، ولديها مستشارون انكليز ، وكذلك مستعمرة عدن ، هذا الموقع الستراتيجي الذي حافظت عليه انكلترا كما حافظت على سنغافوره بغيرة وشدة وتعلق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

افريقية السوداء . — وعلى خلاف هذه العوالم العربية التي ظلت على الهامش ، تطورت افريقية السوداء في نطاق الامبراطورية والكومنولث، ولكن بتأخر ملحوظ عن آسيا التي بدأ تشكيلها الجامعي والبرلماني من قبل ، وأدى اختلاف الحالات الى اختلاف السياسات . فالمستعمرات ، التي يسكنها أبناؤها الاصليون وحدهم ولا يكون فيها الاوربيون إلا كوادر ، كما في نيجيريا ، ساحل الذهب ، سيراليون ، غامبيا في افريقية الغربية ، اوغاندا في افريقية الشرقية ، عوملت بحرية أكثر من البلاد التي يشكل فيها المعمرون البيض اقليات هامة ومسيطرة سياسياً ، كما في اتحاد جنوبي افريقية ، روديسيا ، تانغانيقا ، كينيا .

في مستعمرات الفئة الأولى ، طبق البريطانيون « الادارة غير المباشرة » بوضعهم ببساطة عدداً صغيراً من الموظفين البيض فوق الزعماء الافريقيين التقليديين . وهذا النظام الاقتصادي ، الذي لا يعكر صفو العادات ، تحسن في الربع الأول من القرن على يد أحد عظماء الاستعماريين الانكليز ، اللورد **لوغارد** الذي عزز حكم الزعماء بمنحهم موازنات ومحاكم بشكل يمكن الافريقيين « من التطور في خط حضارتهم الخاصة » . وهذا النظام ، الذي يحترم التسلسل كما كانت انكلترا في عهد الملكة فيكتوريا ، نجح الى الحد الاعظم في مناطق عرفت دولاً قوية مثل نيجيريا الشمالية أو ، في ساحل الذهب ، الاتحاد الكونفدرالي الاشانتي . وكشف فيما بعد عن ضعفه في مناطق الفوضى الثابتة ، أو الزعامات الضعيفة ، وبخاصة في المدن الشاطئية حيث نمت نخبة تثقفت في الجامعات الانكليزية أو الامريكية .

وادخلت هذه النخبة المستغربة شيئاً فشيئاً لتنافس الزعماء في المجالس التشريعية ، الهيئات الموضوعة لدى الحكام ، ولكنها كانت استشارية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بصورة بحتة . وعارض فطنة هذه الاصلاحات بخاصة افريقيان عائدان من امريكا : **نيكروما** في ساحل الذهب و **آزيكيويه** في نيجيريا . أسس نكروما حزباً يستخدم عمل الجماهير ؛ وقامت مشادات في ١٩٤٨؛ وزج نكروما في السجن ، وخرج منه ، عندما ربح حزبه الانتخابات في ١٩٥٠ ، وأصبح الوزير الأول ؛ وتبنى لبلاده اسم « غانا » وحصل على استقلال ذاتي يكاد يكون تاماً . وأكثر آزيكيويه صحف المعارضة (« صحافة زيك ») ودعا « إلى افريقية » ضد « الطغاة » الانكليز . وحضّر هؤلاء ، بعد تحقيقات واجتماعات عديدة ، اتحاداً فدرالياً مؤلفاً من ثلاث دول نيجيرية تحت اشرافهم .

سيراليون . — وحصلت سيراليون حتى مجلس منتخب وحكومة افريقيين .

اوغندا . — وفي اوغندا عانى الانكليز مشقة في توحيد ممالك منفصلة تقليدياً أو متعادية . والمهم هو أن **البوغاندا** ، الملك **متيسا الثاني** ، الطالب سابقاً في جامعة كمبردج ، طالب باستقلال خاص في ١٩٣٣ ، ونفي موقتاً .

اتحاد جنوبي افريقية . — إن النموذج المتطرف لبلد المعمرين هو اتحاد جنوبي افريقية . ففيه يشكل البيض خمس السكان ويسيطرون بشكل كامل على الجماهير السوداء . والاتحاد ، باعتباره دومنيون ، يتمتع إذن باستقلال ذاتي سيامي كامل ، وقد تبنى نظام « العزل » أي الفصل المطلق للاعراق ، والتمييز العنصري . وفي شمال الاتحاد توجد ثلاث بلاد بريطانية ، رودبسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند ، وقد ضمت ، في ١٩٥٣ ، في اتحاد فيدرالي بمبادهـــة رودبسيا الجنوبية التي تضم عشر الاوربيين الموجهين للبلاد ، وتتطلع الى السيطرة على المجموع .

افريقية الشرقية . — وفي افريقية الشرقية كانت المعارضة أقل